Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أندية الأدب الذى ركدت فى هذا العصر ريحه ، وخبت مصابيحه ذكـــر المقامـــات التى ابتدعها بديع الزمان ، وعلامة همذان رحمه الله تعالى ، وعزى إلـــى أبـــى الفتح الإسكندرى نشاءتها وإلى عيسى بن هشام روايتها ؛ وكلاهمـــا مجـــهول لا يعرف ، ونكرة لاتتعرف فأشار من إشارته حكم ... إلى أن أنشىء مقامات أتلـــو فيها تلو البديع ، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع ... ... هذا مع اعترافى بـــأن البديع رحمه الله سباق ، وصاحب آيات ، وأن المتصدى بعده لإنشاء مقامة ، ولو أوتى بلاغة قدامة ، لايغـــترف إلا مـــن فضالتـــه ولايســـرى هـــذا المســـرى إلا بدلالته "(١٩) .

لماذا اهتم الحريرى بتوضيح أن بطل المقامات و راويها " مجهول لايعرف و نكرة لاتتعرف " ؟ ألا يعد ذلك إشارة إلى خاصية تميز مؤلف الهمذانى وتخـــالف العرف الأدبى السائد له ، بما يستدعى وقوف الحريرى عندها ؟ ألـــم يكـــن مـــن الطبيعى أن يمر الحريرى على هذه الخاصية مرور الكرام لو أنها عرفت قبل البديع كجزء من تقاليد الكتابة النثرية الفنية فى الأدب العربى ؟

إن صيغة ابتدع (افتعل) فى النص السابق تحتمـــل دلالتيـــن ؛ الأولـــى تنصرف على النوع ؛ أى إنه اخترع النوع اختراعا ، والثانية تنصرف علـــى مـــا أنشأه البديع فى هذا النوع (٢٠) . تلك الصيغة – مع قرائـــن اخـــرى مثـــل جملـــة (لايسرى هذا المسرى الا بدلالته) - تشير إلى ريادة بديع الزمان لهذا الفن ،تلـــك الريادة التى أقر بها القدماء بدون ضجة رغم معرفتهم بنص الحصرى ، إذ يبدو أن القدماء كانوا يدركون أن أى تأثير من أعمال سابقة أو معاصرة فى بديع الزمان هو أمر طبيعى لايحتاج إلى تعليق ، إنها بديهة أن يتفاعل النص مع تراثه العام والنوعى على وجه الخصوص ، ما يؤكد ذلك أن الشريشى شارح مقامات الحريرى قد أشار إلى صفحة الحصرى دون أن يجد فيها ما يتناقض مع كلام الحريرى فى مقدمتـــه " فالشريشى فى الواقع عندما نوه هو نفسه بصفحة الحصرى ، فإنه فعـــل ذلـــك دون إبداء أى رأى بأنها كانت تتناقض مع موقف الحريرى "(٢١) .